

حلف المدن العشر "الديكابوليس"

"الديكابوليس" هو اسم لمجموعة من المدن أدخلت في حلف حسبما ذكر المؤرخ الروماني بليني في كتابه التاريخ الطبيعي والذي أنجزه عام (٧٧م). وقد ضم هذا الحلف وعلى فترات زمنية متفاوتة تسع مدن على الأرض الأردنية وهي مدن جيراسا (Gerasa) (جرش) وفيلادلفيا (Philadelphia) (عمان) وبيللا (Pella) (طبقة فحل) وجدارا (Gadara) (أم قيس) وكابيتولياس (Capitolias) (بيت راس) وأرابيلا (Arabella) (إربد) وأبيلا (Abella) (قويلبه) وديون (Dion) (خلافية الموقع) وسكيثابوليس (Scythopolis) (بيسان) في فلسطين وداماس (Damascus) (دمشق) وهيوس (Hippos) وكاناثا (Canatha) (قنات) ورافانا (Raphana) (غير معروفة الموقع)، والجدير ذكره أن هذه المدن العربية السامية كانت قائمة قبل الغزو اليوناني على يد الإسكندر المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد. ولم يجمع مؤرخو تلك الحقبة مثل فلافيوس جوزيفوس وبليني وايسابيوس وستيفانوس بيزانتيوس على قائمة موحدة للمدن العشر وقد ركزوا على المدن المهمة والمزدهرة آنذاك^(١).

توسعت هذه المدن عندما استوطنها جنود الإسكندر المقدوني وقادته وعائلاتهم بعد وفاته تحت حكم قائدية من البطالمة والسلوقيين في القرن الثالث قبل الميلاد. مع العلم أنها لم تكن معلنة آنذاك كحلف موحد. ثم توسعت ثانية وازدهرت بعد الغزو الروماني للمنطقة عام ٦٣ ق.م على يد القائد بومبي الذي أخرج معظمها من سلطة احتلال سلالة

(١) محمود العابدي، جرش، ص ١٠-١٢.

الحشمونيين اليهودية. ويذكر المؤرخون بأن سكان هذه المدن قد ابتهجوا بزوال الاحتلال اليهودي^(١).



من صور مكتبة الكونغرس الأمريكي

غير أن عدد مدن هذا الحلف ازداد بعد القرن الثاني الميلادي فذكر المؤرخ الروماني Ptolemy في القرن الثاني الميلادي قائمة أطول من مدن الديكابوليس لتشمل مدينة ابيلا وكابيتولياس (بيت راس) وأرابيلا (إربد) وافيثانيوس و درعا وغيرها^(٢). وكانت معظم هذه المدن قد توسعت. واستوطنت في العصر الهلنستي (القرن الثالث قبل الميلاد) من قبل المقدونيين، وقادة وجنود الإسكندر المقدوني، ومن بعده البطالمة، والسلوقيين. وبالرغم من أن معظم هذه المدن قد سكت عُملتها غير أننا لم نجد كلمة

(1) Kraeling, p. 461; H. Seyrig, Numismatic Notes and Monographs, 119 [1950], 33, n 45.

(2) Pliny, Natural History. (N.H. V. xvi. 74).

ديكابوليس على أي من عُمَلِها. إلا أنه وجد في جنوب تركيا نص يذكر بشكل صريح مصطلح (ديكابوليس السورية)^(١).

وقد توافق وصف بعض مؤرخي القرن السابع الميلادي مثل ايسابيوس (Eusebius) وابفانيوس (Epiphanius) وستيفانوس بيزانتيوس (Stephanus Byzantius) على أن مصطلح "المدن العشر" باختلاف عددها قد عُنَّ عنواناً، واسماً للمنطقة شمالي الأردن وجنوبي سوريا. ولم يتفقوا على عدد ثابت، وموحد لهذه المدن فقد ركزوا على المدن الكبيرة والمزدهرة آنذاك. ومن اللافت أن المؤرخ ستيفانوس بيزانتيوس (Stephanus Byzantius) في القرن السابع الميلادي ذكر بأن جيراسا كانت من ضمن ولاية "البلدات الأربع عشرة" وهي إشارة واضحة إلى فترة اتساع رقعة المدن العشر وتجاوزها هذا العدد. فيما ذكر بطليموس (Ptolemy) هذه المدن وحددها بأنها ثماني عشرة مدينة. مضيفاً إليها من جغرافيا الأردن مدينتي بيت راس "كابيتولياس" والتي أسسها الإمبرطور نيرفا في العام (٩٨م) وجارتها مدينة قويلبة (اييلا)^(٢).

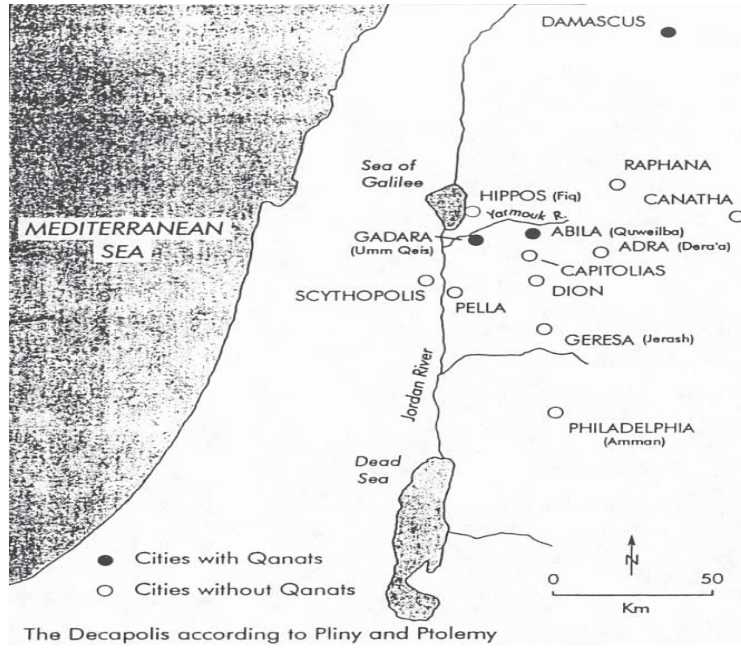
وقد كان حلف الديكابوليس في بعض مراحلها يتألف من (١٨) مدينة إزدهرت واهتم بها الإمبرطور نيرفا في عام (٩٨ق.م) وكانت هذه المدن إلى الشرق من نهر الأردن بإستثناء مدينة سكيثابوليس (بيسان) والتي تقع إلى الشمال الغربي من مدينة بيلا (طبقة فحل)^(٣). ويؤكد المؤرخون أن أغلب سكان هذه المدن كانوا وثنيين ولم يؤمنوا بالديانة اليهودية بل آمنوا بالمسيحية تدريجياً في عهد المسيح في منتصف القرن الثاني الميلادي. وقد تبعت بعض المدن حكم الملك هيرود غير أنها تبعت بومبي. وأنها أخذت الطابع الإغريقي الهلنستي. وكانت على الدوام معادية لليهود. وقد دام هذا الحلف لفترة وصلت إلى

(١) المصدر نفسه.

(٢) يوسف زريقات، جرش حكاية الإنسان والمكان، ٢٠١٥، ص ٨٢.

(3) Josephus, "Antiquities." xv. 7, 3.

(١٧٠) عاماً عندما توسع الإمبراطور الروماني تراجان جنوباً. واحتل البتراء عام (١٠٦م) مشكلاً الولاية العربية وأصبحت بعض هذه المدن مثل: جيراسا وفيلادلفيا في مقاطعة خاصة أُطلق عليها اسم (الولاية العربية) وبقيت بقية المدن في الولاية السورية^(١).



خارطة المدن العشرة حسب وصف بليني وبطليموس

ويرى بعض المؤرخين أن المدن العشر كانت ضمن جغرافيا واحدة في سوريا الطبيعية ودخلت في حلف. وتم تعزيزه، وإعطاؤه تسهيلات من قبل الرومان لتكون منطقة عازلة وحامية للحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية ضد غزوات الفرس والساسانيين. ثم قام بومبي بفصل المدن العشر عن سلطة المنطقة اليهودية في العام (٦٣ ق.م) وجعلها مدناً تدير نفسها تحت مسمى الولاية السورية. باستثناء جدارا وهيوس في الجولان والتي اقتطعت للملك اليهودي هيرود، ثم ما لبثت بعد وفاته أن أعلنها أغسطس مستقلة وبذلك أصبحت

(1) Pliny (*l.c.* xv. 4)

المدن العشر تتوزع على جغرافيا متصلة فصلت منطقة بحر الجليل (طبريا) عن منطقة إلبيرية اليهودية والتي أُعطيت لابنه هيرود انتيباس التتراخي. وامتدت من وادي الموجب (أرنون) إلى وادي الزرقاء (يبوق) على الحدود الجنوبية لجرش إضافة إلى رغبة الرومان بأن تكون درعا على الحدود الشرقية للإمبرطورية الرومانية ضد الفرس وعلى الحد الجنوبي حيث الأنباط وجوديا اليهودية^(١).

ويؤكد المؤرخ بليني بأن هذه المدن وخلال الفترة الرومانية قد كانت وثنية. ومعادية

للإمبرطورية الرومانية.

بإعجاب عن ثمار زيتون مدن الديكابوليس ذات الثمار الصغيرة^(٢). (وهي التي تعرف الآن في الأردن وسوريا بصنف الزيتون السوري) ويؤكد المؤرخون أن أغلب سكان هذه المدن وثنيون ولم يؤمنوا بالديانة اليهودية بل آمنوا بالمسيحية تدريجيا في عهد المسيح في منتصف القرن الميلادي. وقد تبعت بعض المدن حكم الملك هيرود غير أنها تبعت بومبي وأنها أخذت الطابع الإغريقي الهلنستي وكانت على الدوام معادية لليهود. وقد دام هذا الحلف لفترة وصلت إلى (١٧٠) عاما عندما توسع الإمبرطور الروماني تراجان جنوبا واحتل البتراء مشكلا الولاية العربية^(٣).



فلس ضرب جرش

(1) www.copticpedia.brinkster.net

(2) Josephus, "Ant." xv. 7٠ 3

(3) Pliny (*l.c.* xv. 4)

وقد بلغت مدينة جرش قمة التطور والثراء في أوائل القرن الثالث الميلادي عندما جرى ترفيعها إلى مرتبة مستعمرة، لكن قضاء الرومان على ملكة تدمر الزباء في الشمال عام (٢٧٢م) بقيادة الإمبراطور أورليان، وتوسع الساسانيين في العراق وأوقف التجارة في جرش كما توقفت حركة البناء. وتحولت الطريق التجارية عبر البحر، وقامت قبائل البادية بالسلب، والنهب، واضطرب حبل الأمن ولكن ديوكلسيان عاد وهزم الساسانيين بحدود عام (٣٠٠م). وعاد الازدهار والبناء إلى جرش. ثم تعرضت الأردن لغزو الفرس الذين احتلوا جرش سنة (٦١٤م)، ودمروا كثيراً من معابدها ومعالمها الحضارية^(١). لكن الرومان استردوا جرش بقيادة الإمبراطور هرقل وفي عهده أصبحت المدينة من أشهر مدن الغساسنة. والجدير بالذكر أن الديانة المسيحية دخلت جرش سنة (٣٩٥م)، وبنيت فيها خلال عهد الإمبراطور جوستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) سبع كنائس على الأقل وازداد الرخاء في المدينة ازدياداً ملحوظاً. وكانت آخر كنسية بنيت فيها سنة (٦١١م) وقد استخدم في بناء هذه الكنائس الحجارة المنحوتة وكانت فيما سبق معابد وثنية^(٢).

العهد البيزنطي وازدهار الديانة المسيحية في جرش

جاء ميلاد المسيح عليه السلام بمعجزة وبعد فترة من فساد العقيدة اليهودية وتسييس الدين والكنس اليهودية، فاعتزلت طائفة من المؤمنين الحق القدس ولجأت إلى الشواطئ الغربية للبحر الميت في كهوف قمران. وقد تركوا خلفهم كمية كبيرة من الوثائق الدينية في أغلبها وأطلق عليها اسم "مخطوطات البحر الميت". وعلى الضفة الشرقية لنهر الأردن قام يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) عليهما السلام بتعميد السيد المسيح في بيت عينيا في النصف الأول في بدايات القرن الأول الميلادي. وغير بعيد كان يوحنا المعمدان يكرز في

(1) Josephus. F. Jewish War, 4.9.1. p, 486-489.

(٢) العابدي، جرش، ص ١٠-١٢.

برية الأردن قبل أن يلقي القائد اليهودي هيرود انتيباس القبض عليه ويسجنه في قلعة مكاور
ثلاثة أشهر. أما إقامة سالومي بعد أن صاح بحرمة علاقة انتيباس غير الشرعية بزوجة
أخيه فيليب التتراخي^(١).



كنيسة القديس بول ١٩٣٢ / جامعة يال

وكانت جرش في هذه الفترة في أوج ازدهارها وكانت إحدى مدن الديكابوليس. وورد
اسم "العشر مدن" في إنجيل متى (٤: ٢٥) حينما كان المسيح يجوب هذه المدن ويشفي
السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة. "فتبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر مدن
وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن" ويقصد بعبر الأردن شرقي نهر الأردن وهي أرض
الأردن".

وقد ذكرت أناجيل متى ومرقس جوليات ومعجزات السيد المسيح في مدن
الديكابوليس وجوارها ومنها معجزته في كورة الجداريين مرة وفي كورة الجيراسيين في

4.9.2، Josephus. F. JW(١)

موقع آخر. ولم يتفق المؤرخون وعلماء اللاهوت على موقع بعينه لمعجزة المسيح في شفاء الممسوس بالجن، فمنهم من قال إنها على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا (بحر الجليل) ومنهم من قال إنها كورة جيراسا (جرش). وقد اختلفت الآراء لدى علماء اللاهوت والرحالة والمؤرخين حول مسمى جرش في الأناجيل ومعجزات السيد المسيح أثناء تحماته وتشبهه في المكان المذكور. أما الأدلة المطروحة لا تذهب لاعتبار جيراسا (جرش) محطة من محطات المسيح التبشيرية⁽¹⁾.

ويبدأ الخلط في كلمة (الجرسين) وهل هم سكان مدينة جيراسا (جرش) أم أنهم سكان المنطقة. وكورة مجموعة من السكان أطلق عليهم في أناجيل العهد الجديد اسم (Gerasenes) ذكر إنجيل (متى، ٢٨: ٣٥) قصة معجزة المسيح عليه السلام عندما جاء إلى كورة الجرسين وأشفى مجنونين فيهما من الأرواح الشريرة فخرجا عليه من القبور قبل أن يأمر الأرواح الشريرة لتدخل في أجساد قطع من الخنازير، واندفع القطيع من على الجرف إلى بحر الجليل (بحيرة طبريا). وعلى إثر هذه المعجزة خرجت إليه جميع المدينة وطلبت إليه أن ينصرف عن تخومهم. وقد تكررت قصة المعجزة مرة ثانية وباختلاف في المكان والأشخاص في إنجيل (مرقس، ١: ٥) حدثت المعجزة في أرض الجديين (جيدارا- أم قيس) عندما شفى إنساناً مجنوناً كان قد خرج عليه من القبور. فهل كانت أرض الجرسين إلى الجنوب الشرقي من بحيرة طبريا هي كورة ومنطقة مدينة جيراسا؟ أم أن الحديث هنا عن جماعة عرقية أو قبلية أو حتى جغرافية تسمى كورة الجرسين وليس لها شأن أو ارتباط بجيراسا، إحدى المدن العشر؟ وقد حدد المؤرخ الروماني ستيفانوس البيزنطي⁽²⁾ في القرن الرابع الميلادي موقع معجزة المسيح للمجنون والجرسين في موقع مدينة تدعى (Gergesa) وهي قريبة من الشاطئ الشرقي لبحر الجليل (طبرية) وليست جيراسا

(1) Kraeling, p. 49.

(2) B.J ii. xviii. 1.p.458

(جرش)^(١). وقد علق علماء الدين وبعض المؤرخين على هذا التضارب بين إنجيلي متى ومرقس بأنهما تكلمتا عن جدارا كمدينة في ولاية جيراسا أو أن جدارا كانت مدينة في ولاية جيراسا. وقد كانت جيراسا محطة اللجوء الثانية للمسيحيين الأوائل قبيل حصار تيطس للقدس عام (٧٠م)، حيث جاءهم وحي إلهي بالرحيل عن القدس قبل دمارها.

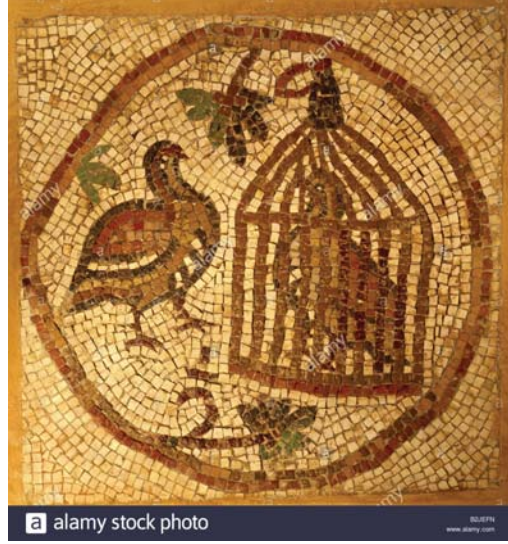


كنيسة قرمل من اكتشافات (٢٠١٣م)

ومع انتشار الديانة المسيحية بزغ الإيمان المسيحي وانتشر في مدن الديكابوليس بعد أن كانت وثنية، ففي أم قيس عاش القديس (Zachaeus) في أوج فترة اضطهاد المسيحية في الإمبرطورية الرومانية في عهد الإمبرطور ودقليسيانوس. وقد ورد في الموسوعة القبطية الأورثوذكسية بأن زكا شماسًا من جادارا (Gadara) في عبر الأردن. جُلِدَ بقسوة ثم مزقوا جسده بأمشاط حديدية، وألقوه في السجن ورجلاه مشدودتان متباعدتان حتى كادت أطرافه تتفكك من بعضها. ورغم كل معاناته فقد كان القديس زكا في غاية الفرح والتسبيح قبل أن يقتلوه ويذهب شهيدا وقديسا^(٢).

(١) يوسف زريقات، جرش حكاية الإنسان والمكان، ٢٠١٥، ص 132.

(٢) www.copticpedia.brinkster.net



فسيفساء الطائر الحبس

وفي جرش حولت بعض المعابد الوثنية إلى كنائس مثل معبد آرتيمس الذي أصبح كنيسة للعرب المسيحيين كما تم هدم معبد ديونيسوس إله أخمر اليوناني (باخوس الروماني)، وقام الجرشيون ببناء كاثدرائية على بقاياها في منتصف القرن الرابع الميلادي لتكون أول مكان عبادة مسيحي في المدينة ومن أقدم الكنائس في الأردن. وفي بداية القرن الرابع الميلادي اعتنق الإمبراطور الروماني قسطنطين الديانة المسيحية وأصدر مرسوم ميلان عام (٣١٣م) والذي سمح للمسيحية أن تكون إحدى ديانات الإمبراطورية بعدما كانت ممنوعة، وكان العرب المسيحيون في الأردن وسوريا قد عانوا كثيراً وتعرضوا للمطاردة والقتل والتعذيب والصلب والحرق، ومع منتصف القرن الخامس الميلادي حصلت انفراجه أكبر للديانة المسيحية حيث أصبحت هي الديانة الرئيسة السائدة في الأردن والمنطقة وتراجعت الوثنية وسلطة اليهود عن المائة سنة الماضية. أقيم في عهد جوستينيان (٥٢٧-٥٦٥م)، وتم تشييد (١٦) كنيسة داخل أسوار مدينة جرش^(١).

(١) يوسف زريقات، جرش حكاية الإنسان والمكان، ٢٠١٥، ص ١١٢.



(خارطة الإسكندرية في القرن السادس الميلادي من لوحات كنيسة القديس بول)

وكان المطران جنيسوس قد أنشأ آخر كنيسة داخل أسوار مدينة جرش سنة (٦١١ م. ب. م) قبل الغزو الفارسي (٦١٤ م)، وتم اكتشاف العديد من الكنائس خارج الأسوار مثل كنيسة جبا وسوف وزقريط ودير الليات ووادي الدير. وليس بعيدا عن جرش بنيت كنيسة الكنائس في عجلون ومار الياس وصخرة وطبقة فحل ورحاب والخربة السمراء وغيرها^(١).

وتشير النصوص التاريخية بأن المطران أكسرسيوس مثل مسيحيي جرش في مجمع القسطنطينية عام (٣٥٩ م)، كما مثلها المطران بلاكوس في مجمع خلقيدونيا، والذي عقد عام (٤٥١ م)^(٢).

(١) منشورات وزارة السياحة والآثار لعام ٢٠١٥.

(٢) جريدة الدستور، العدد ١٧١٠٠، السنة ٤٨، الأربعاء ٢٥ شباط ٢٠١٥.

ومن أهم الكنائس داخل أسوار المدينة كنيسة المطران جينسيوس (٦١١م)، وكنيسة القديس ثيودور (٤٩٦م)، وكنيسة الجسر في القرن السادس الميلادي. وكنيسة المطران أشعيا (٥٥٩م) إضافة إلى مجمع الكنائس الثلاث [كوزموس ودوميانوس (٥٣٣م)، ويوحنا المعمدان (٥٣١م)، والقديس جورج (٧٤٩م)].

وفي عام (٢٠١٣م) اكتشف الدكتور رافع الحراحشة مدير آثار جرش كنيسة في موقع «قما» بمنطقة الزبداء على الطريق القديم إلى الأردن. هذه الكنيسة صغيرة مساحتها نحو (٤٠) مترا مربعا وكانت الفسيفسائية كاملة بألوان أخاذة^(١).

(1) almashriq.hiof.no/jordan/900/930/jerash/jerash.html